جمـــاعـــــة الـبـــصرة أواخـــــر القـــــرن العـــشريـن

باسم عبد الحميد حمودي

شكلت (جماعة البصرة أواخر القرن العشرين) ظاهرة ثقافية جادة عند ظهورها، نشرت لونا من التجديد في السعي لبناء قصة عراقية جديدة، تستلهم التراث في بعض نصوصها لتعيد أنتاجه في سيرورة حداثية، وتشاكل الواقع لتعيد تقديمه في أشكال أبداعية مشحونة بالتغريب وصولا الى بناء اقصوصة جديدة .

أول اصدار للجماعة كان في ٣١ تموز ١٩٩١ وشارك فيه القصاصون: قصي حسن الخفاجي –لؤي حمزة عباس –جابر خليفة جابر –وحيد فرعون –كامل فرعون عيادة .
صدر العدد الثاني بعنوان (قصص البصرة أواخر القرن العشرين) بتاريخ ٣١ كانون الاول ١٩٩١ وقد شارك فيه القصاصون: قصي الخفاجي (بحر اليوتوبيا) وكامل فرعون عيادة (الموجة المتلاشية) وجابر خليفة جابر (الرجل الغريق) وسعيد حاشوش (الماء في كل مكان) وقد ساهم قصاصون اخرون مع المذكورين في باقي الاصدارات التي استمرت منتظمة حتى العدد العاشر الذي صدر شتاء ١٩٩٩, نشرت هذه الجماعة من الشباب بيانا عن مشغلها القصصي يجده القارئ في مكان اخر من (ذاكرة) نشرته جريدة (العراق)في عدد ٢٦ اذار ١٩٩٤ وثقه عدد من المشاركين في التجربة أضافة الى نشرهم مجموعة من قصصهم.
تنوعت تجارب الكتاب بين قدرة مثقلة بالوعي الفني والغنى الادائي ومعرفة ما يريده الكاتب من نصه المدون وبين الاحساس بضرورة التجريب مع وجود بعض التجارب التي لاتنتمي الى فن القصة القصيرة بقدر انتمائها الى (نص) يقترب منها وينفتح على النثر الفني عموما.
كانت تجربة هذه الجماعة قد شكلت نموذجا للاصرار المبدع على الانتاج القصصي مع وجود الفروقات الفردية والمواصلة من أجل قيام بناء جديد للقصة الشابة في العراق.

مختبر جماعة البصرة اواخر القرن العشرين

انساق القصة القصيرة جدا - اضاءات الرحلة- هواجس التجربة

لكاننا ندخل رحم الاقصوصة بهلام اللا شكل ونخرج مدججين بسلاح الشكل.. كل الذي نرتجيه من عذاب الرحلة وافقها المظلم سرعة الطواف على جليد الكلمات باقصر الطرق وصولاً لالوهية الانسان المعمد بتراب الارض العراقية (العراق اولاً- والجنوب ثانياً، جدلية الكتابة بالماء الثقيل لدينا الظاهرة اولاً فعلها الحي- ولا شيء غير الظاهرة اما الموهبة الفردية النزقة فهي كينونة متلاشية ولا صلة لها بدرب الرحلة الحضارية العميقة، عنقاء الكتابة عندنا هي مغادرة الارض الى الارض البيضاء/ وكل رث في الواقع هو نقيض لفكرة الحرية).
(اذا وضعنا قنبلة فنية موقوتة في رحم الواقع وثار الواقع ولم تنفجر فماذا نعمل؟) كلمات الاقصوصة لها اجنحة ترفرف تنخذل تنفرش وتحلق عالياً مثل رؤانا وقوانا وطاقاتنا الجماعية التي تخرق صلاة الياس بضربة جناح قاتلة.
سوف نخوض غمار التجربة القصصية بعنفوان الفسل المرير وغبطة النجاح المتوج لكننا نسال لماذا القصة القصيرة جداً؟ هل هي اللحظة الجزئية للتجلي/ لحظة تحذير الضجيج الذي يلف افق الروح الممزقة ام هي عملية اقتطاف ومضة خلاص متصيرة ان صح التعبير ترهص في خضم الوجود لتمثل الوقائع وادراك نبض الامكنة الموشومة بكثافة حلمية بمنأى عن استطرادات الزمان وكثرة تذبذب الاشياء باعتبار انهما ينصرفان الى مراقبة طويلة الامد لكننا في الحياة او في الخيال ثمة لحظات متوهجة او مواقف ورؤى حلمية لا تستوعبها سوى القصة القصيرة جداً والا فانها تبدو مثل جسم نحيل في ثوب فضفاض (حتماً ستفضي زئبقية الروح اللانهائية تحت هاجس الضغوط الكونية وعبر الغثيانات وصور البحر الشاردة في ظل المخيلة ومرور الرماح المسمومة فوق تخوم الزمان الكثيفة المثقلة بقوانين الصدفة الغامضة التي نتطلع عبرها بعيوننا المنطفئة فلا نرى غير الاوهام المقيتة لحكايات هشة مغامرات بائسة لبحارة شجعان منسيين وما ذاك سوى جرح الذهن الماضي الغابر (من صلب المحاضرة قادنا استاذ التاريخ الى تلك المجاهيل الباقية في عرض الصحراء.. راينا اثار العطب الاسود حين وقف معنا ذلك الاستاذ في اجواء التاريخ الميداني على تلة رملية متحركة وهو يشير باصبعه الثابتة الى تلك البقعة الباقية من الصدأ المنسي المتفحم) كان الاستاذ يسكب صوته الحزين في قارورات اذاننا: يا اخوتي الاعزاء دونوا اسفار قهركم واساطير كينوناتكم الجريحة. وفيما كنا نمعن بالكتابة السريعة انخسفت الرمال بالاستاذ وغاص في بحر الاسطورة.

١- بيضة النسر الاسطوري

على صخرة الرماد النابتة في كهف مظلم قرأنا نحن الحفاة الصغار اسطورة عجيبة خطها اجدادنا العظام بحذق وبراعة وفحواها يقول: كانت هنا يوما بيضة نسر زرقاء باردة عثر عليها بدوي عجوز ودفنها في قلبه.
اعوام مرت كالريح.. تشققت قشرة الارض واختفت خطوطها وظهرت خطوط جديدة وهطلت امطار وجفت امطار.. وريح سفت.. وسكنت ريح.. وعصفت اعوام، واعوام، واعوام.. مات فيها البدوي وفقست البيضة.
حين هبطت طائرة جند الغزاة اخر مرة في الحرب الكونية الاولى انشقت رمال الصحراء وهاجت الضواري والوحوش ودبت هوام الجحور ورحل الرعاة الى اودية التيه بحثاً عن العشب والكلأ والامان (كان ذلك في فجر ندي بارد يوم خرج نسر دهري عنيد من اعماق الرمال وزعق بضراوة وهو يرى الطائرة تحمل جند القيادة الغازية فحام حولها ودخل محركها اثناء التحليق وسقطت وتفحمت وتفحم كل من فيها).
نحن الذين قرأنا يوماً تلك السطور الغامضة عن طريق الصدفة الان كبرنا وشبت اخيلتنا وشغلتنا فكرة الخفاجي (بحر اليوتوبيا) وكامل فرعون عيادة (الموجة المتلاشية) وجابر خليفة جابر (الرجل الغريق) وسعيد حاشوش (الماء في كل مكان) وقد ساهم قصاصون اخرون مع المذكورين في باقي الاصدارات التي استمرت منتظمة حتى العدد العاشر الذي صدر شتاء ١٩٩٩, نشرت هذه الجماعة من الشباب بيانا عن مشغلها القصصي يجده القارئ في مكان اخر من (ذاكرة) نشرته جريدة (العراق)في عدد ٢٦ اذار ١٩٩٤ وثقه عدد من المشاركين في التجربة أضافة الى نشرهم مجموعة من قصصهم.
تنوعت تجارب الكتاب بين قدرة مثقلة بالوعي الفني والغنى الادائي ومعرفة ما يريده الكاتب من نصه المدون وبين الاحساس بضرورة التجريب مع وجود بعض التجارب التي لاتنتمي الى فن القصة القصيرة بقدر انتمائها الى (نص) يقترب منها وينفتح على النثر الفني عموما.
كانت تجربة هذه الجماعة قد شكلت نموذجا للاصرار المبدع على الانتاج القصصي مع وجود الفروقات الفردية والمواصلة من أجل قيام بناء جديد للقصة الشابة في العراق.

قصي الخفاجي

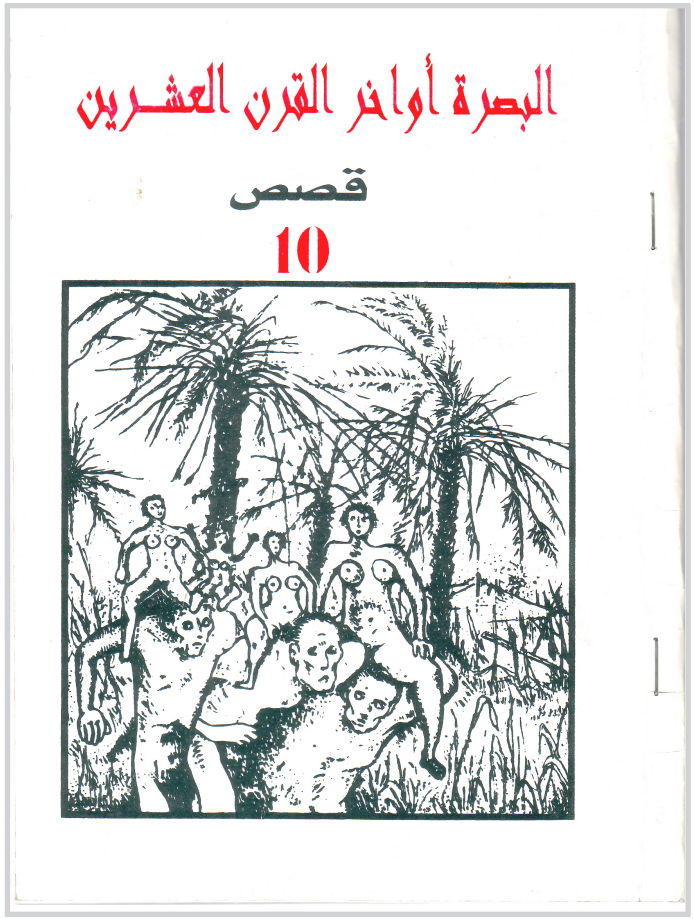

قصص قصيرة جداً

قصي الخفاجي

١- بيضة النسر الاسطوري

على صخرة الرماد النابتة في كهف مظلم قرأنا نحن الحفاة الصغار اسطورة عجيبة خطها اجدادنا العظام بحذق وبراعة وفحواها يقول: كانت هنا يوما بيضة نسر زرقاء باردة عثر عليها بدوي عجوز ودفنها في قلبه.
اعوام مرت كالريح.. تشققت قشرة الارض واختفت خطوطها وظهرت خطوط جديدة وهطلت امطار وجفت امطار.. وريح سفت.. وسكنت ريح.. وعصفت اعوام، واعوام، واعوام.. مات فيها البدوي وفقست البيضة.
حين هبطت طائرة جند الغزاة اخر مرة في الحرب الكونية الاولى انشقت رمال الصحراء وهاجت الضواري والوحوش ودبت هوام الجحور ورحل الرعاة الى اودية التيه بحثاً عن العشب والكلأ والامان (كان ذلك في فجر ندي بارد يوم خرج نسر دهري عنيد من اعماق الرمال وزعق بضراوة وهو يرى الطائرة تحمل جند القيادة الغازية فحام حولها ودخل محركها اثناء التحليق وسقطت وتفحمت وتفحم كل من فيها).
نحن الذين قرأنا يوماً تلك السطور الغامضة عن طريق الصدفة الان كبرنا وشبت اخيلتنا وشغلتنا فكرة امسك شفرة حجرية باشطة وقطع (...) الذابل ثم دسه في فمه وغاب في حفرة العدم.

٢- رعد ابيض قاهر

خرج من متاهة السجن معتوهاً تماماً فهام على وجهه في البراري الحزينة ينتظر سقوط الامطار التي تغسل اوساخ السنين التي عاشها في السجن وشرع يخط حروفاً على طين الارض الحمراء (وانقدحت بروق تفلق عنان السماء- وهو يحفر- ثمة عتمة ليل- وهو يحفر- حافات انهر- وهو يحفر- الانفلاقات عالية- وهو يحفر- ويحفر- ويحفر) ثمة صخرة شاهقة نام تحت ظلها فمرت في خياله اخر هجرات السجن الجماعية الى ما وراء الوراء الوراء الوراء.
دوى رعد قاهر فأفاق من نومه رأى العالم حفرة مظلمة الهبت خياله الايروسي ظل يداعب (...) الذابل ويتمرغ ويتلوى ويعوي.
واذ تلفت كانت السماء تصدح وخيوط البرق تشتعل هي ذي هجرات تنتهي او لا تنتهي لا يهم كل شيء لا يعود الى مكانه كل شيء لا يعود لا يعود ابداً عدا حزن السجن الكثيف المتقطر سيجعل من كفي تاخذ ثارها.

الغـــــورنـــيـكـــــا تحـــترق

نجـــاح الجـبـيـلـي

(١)
انفاس موسيقى "القدر" الصاخبة تتموج في اعطاف المشغل وتدب في سمع "بيكاسو" تتناغم مع ضربات الريشة بيده المعروقة وهي تضع لمسات نهائية على لوحة "غورنيكا"..
عندما تمور الالحان سريعة نحو حركتها الاخيرة يمرر "بيكاسو" ريشته بنبضات متتالية تذوي مع سكون الموسيقى يخطو الى الوراء بضع خطوات ويمعن النظر في فضاء اللوحة الواسع المغمور بحشد الاشكال والأشلاء والاوصال الممزقة وقد عاث بها الموت.

(٢)
يصر الباب ويلج ضابط شاب يؤدي التحية الى الجنرال وينطق بصوت اجش:
- سيدي لقد اكمل "بيكاسو" بناء "غورنيكا".
- بمتقع وجه الجنرال فيصدح صوته:
-لتتوجه الطائرات حالاً وتدمرها..

(٣)
مشغل "بيكاسو" متهالك تغشيه غلالة كثيفة من الدخان الاسود، ومن خلل كومة الحجر المنسحق والخشب المتفحم تبرز كسرة صغيرة من اللوحة يطل منها ذلك الوجه الذي يعصره الالم فاغراً فمه بصرخة فزعة معذبة بينما الذراعان تمتدان للاعلى وتخبطان في الفراغ الرمادي..

٢-مسخ الدم

تمت الماساة دوى الصمت نزل الجزارون الثلاثة من معاقلهم اشرفوا على منظر الدم المسفوك صرخ فيهم هاجس لشرب تلك الدماء تالفوا على جمعها في قنانٍ لارتشافها في الغد..
احدهم جمع دم الولي قبل ان يسف عليه ويجففه هجير الغاضرية..
الاخر جمع دم الحلاج المستقطر من جسده المنكأ بالجراحات..
الثالث جمع دم لوركا الشاخب قرب "عين الدمع" من جبينه الموسوم.
اركن كل واحد منهم قنينته على منضدة اووا الى مضاجعهم ناموا قريري العيون.
في الصباح هبوا من نومتهم الضوا الدم قد بات معجوناً بالثرى وقد نبتت في كل قنينة زهرة لوتس..

قـــصـتـــــان قـــصـيرتـــــان جـــــداً

محمـد عبـد حسـن

١-الحرب

انحنت ممسكة بحافة المعجنة فوخزت بقايا العجين المتيبس راحتيها الطريتين البيضاوين. من النافذة البعيدة تبدو السماء. ترى بوضوح بوادر جنود سود تزحف محتلة الافق في مثل هذا الوقت تشعل السراج هل سيشعلونه الان!؟ اغتيل النهار. تفترس باسنانها، شفتها الذابلة تتشبث بحافة المعجنة صوت الاخر يصلها بوضوح، واضعاً في كيسها القماشي الابيض خمسين رغيفاً اسمر.

٢-انتظار

-ولكني امس الاول كنت في الواجب!؟
- واليوم ايضاً
-ولكن..
-في الساعة الثانية..
ومضى مبتعداً.
مد يده واسكت منبه الساعة. قبل ان يبتعد أضيئت غرفة نومه. رأى زوجته كما رآها امس الاول، تنضو عنها ثوبها استبدلته باخر سرحت شعرها طلت شفتيها فتحت زجاجة العطر، دلقت قليلاً منه في كفها، مسحت رقبتها، ابطيها وبقيت تنتظر.

غـــيـــــول او ســـنـــــابـــك المـــتـقـــــدات

باسم الشريف

تتناهى اليه، كل تلك الاصوات والمشاهد، بيريق غريب ومتشبث، بدأ الزمن يتوقف كما لو كان الشاهد اللامرئي يغمض عينيه بحبور، وآنئذ تغدو الرؤى شبيهة بالدوامات تسحبه آلاف الكلمات المتقدة والمليئة بالمضمرات الى قرارها وحدها اللغة يهجسها تخب برأسه مثل قطعان من الخيول الجامحة.

جموح اول

تتناهى اليه، كل تلك الاصوات والمشاهد، بيريق غريب ومتشبث/ عبر مخاض النداءات المكتومة، تراءت البيوت وهي تنوء من عزلة مضنية، ويقين ابدي يسري بين معالمها خيم في تلك الاصقاع الماثلة عند تخوم البحر فجر منقوش على لوح الروح. فالمدينة الواثبة على بوابات بحرها ارقها الانتظار لا احد يدرك فجيعتها، او يخفف من وطأة غربتها. راقبتها دوائر معلومات الشيطان. توجسوا من دلالات فجرها، ومعادلات انتظارها. اطلعوا عرابوهم قال ثلة ممن توغلوا في بواطن تاريخها. متمردة طاردوها بسبب رفضها المزمن تدارك آخرون. حلمها غامض ومريع، ستحيد عن مساراتنا اردف (الاقرباء الابعدون) سنتابع كل ما يمكن ان يكون وجودها وسيماءها. ضجت الازقة بالغليان. تنادت دوائر معلومات الغرب فيما بينها عبر الفضاءات لإجهاض فجرها استوطنت اشباح الدمار سماءها راسمة ظل صليبها على الارض هبت عاصفة القبائل تحمل احقادها من خلف دهاليز الازمنة استفاقت المدينة من وطأة كبوتها، وألقت عن كاهلها كابوس الرعب. التفت الاساطيل من حولها، قاذفة بها المحيطات. تردد ان المدينة تعد لمصلحها الغيبي. وهو لم يزل قائماً خارج حدود الزمن لذلك وشموا ازمنتها بالسواد عملوا ولائم للدم، وقالوا ان الحبل السري لذلك المصلح ما زال عالقاً في عمق المديات راحوا ينشدون قداس الموت بصوت متناغم واحد، وكانه صفير انذار لتلك المصائر التي تمتلكها روح الرفض والمغايرة فجر المدينة (منتظر) وبينهما حوار بلا كلمات، ودلالات تضيق بها العبارات لذا ضربوا طوقاً حول منافذها، ولفوا تخومها بالجوع والفواجع.
تتناهى اليه، كل تلك الاصوات والمشاهد، ببريق غريب ومتشبث. بدا الزمن يتوقف كما لو كان الشاهد اللامرئي يغمض عينيه بحبور وآنئذ تغدو الرؤى شبيهة بالدوامات. تسحبه الاف الكلمات المتقدة والمليئة بالمضمرات الى قرارها وحدها اللغة يهجسها تخب برأسه مثل قطعان من الخيول الجامحة.

جموح ثان

بدا الزمن يتوقف كما لو كان الشاهد اللامرئي/ تتناهى اليه، كل تلك الاصوات والمشاهد، بيريق غريب ومتشبث، بدأ الزمن يتوقف كما لو كان الشاهد اللامرئي يغمض عينيه بحبور، وآنئذ تغدو الرؤى شبيهة بالدوامات تسحبه آلاف الكلمات المتقدة والمليئة بالمضمرات الى قرارها وحدها اللغة يهجسها تخب برأسه مثل قطعان من الخيول الجامحة.

جموح ثالث

يغمض عينيه باصرار وآنئذ تغدو الرؤى شبيهة بالدوامات/ لا شيء يوقف لجبها سوى نشيج المراة التي اصطبغت وجنتاها بنار الفجيعة، تشمر عن ذراعيها فوق راسها وتهوي امام الجذع المتيبس في ذات اللحظة انبثت ثلة من صفوة الوجوه على مساحة المشهد رجل مسجي يفوح بعبق الشهادة على بوابات المدينة تحتقن الوجوه وجوه الطفولة. وجوه المسارات، وجوه القراءات، وهم يرتلون بصمت سحناتهم تقاذفها لجج الهدير الصاخب المتلاطم على مساحة البوابات. ثمة عينان بارقتان ترسل نداءاتها بشكل مؤثر وشامخ. ربما ارادت ان تقول اطفئوا الجسد لكنهم لم يطفئوا الروح، وجذوتها.
تتناهى اليه كل تلك الاصوات والمشاهد، ببريق غريب ومتشبث بدا الزمن يتوقف كما لو كان الشاهد اللامرئي يغمض عينيه بحبور، وآنئذ تغدو الرؤى شبيهة بالدوامات تسحبه الاف الكلمات المتقدة والمليئة بالمضمرات الى قرارها وحدها اللغة يهجسها تخب في رأسه مثل قطعان من الخيول الجامحة.

" جموح رابع "

تسحبه الاف الكلمات المتقدة والمليئة بالمضمرات الى قرارها وحدها اللغة يهجسها تخب في رأسه مثل قطعان من الخيول الجامحة/ لا احد يعرف ما تضمره سوى بياض الاوراق.